

عبد الحفيظ بوصوف ودوره في الثورة التحريرية الجزائرية

د. إسعد لهاللي

جامعة سطيف 2

مقدمة

إن الحديث عن تاريخ الثورة الجزائرية يقود الباحث مباشرة إلى البحث عن قياداتها المختلفة، والتي لعبت دورا مهما في الكفاح الثوري الذي استمر سبع سنوات ونصف (1954-1962)، ومن أبرز تلك القيادات الثورية نجد العقيد عبد الحفيظ بوصوف الذي ساهم مساهمة فعالة في الثورة التحريرية الكبرى، من خلال توليه العديد من المناصب العسكرية و السياسية مكنته من إحباط المخططات الفرنسية، ومن جهة ثانية الدخول في دوامة الصراع على السلطة مع القادة العسكريين.

والحقيقة أن هناك من اعتبر الرجل قائدا من قادة الثورة، وهناك من اعتبره واحدا من الذين ارتكبوا العديد من التصفيات في حق زملائه في الكفاح وبذلك خلق جدلا بين الباحثين، ولكنه ساهم في الخفاء في دعم جهاز المخابرات باعتراف الفاعلين في الثورة، وإن كان مازال هناك غموض في الكثير من محطات الرجل لأن الشهادات لم تبح بكل أسرارها خاصة إذا علمنا الصراعات الكبيرة بعد الاستقلال وتخوف الكثيرين من الإدلاء بشهاداتهم وهناك من مات ودفنت معهم الكثير من الحقائق.

ويبقى العقيد عبد الحفيظ بوصوف من أهم رجالات الثورة الجزائرية ولهذا حاولنا البحث في بعض جوانب من دوره في الثورة، وعليه فالإشكالية الرئيسية في الدراسة تتركز حول علاقة الرجل ودوره في الثورة، فما هي العمال التي قام بها بوصوف خلال الثورة؟ وأين تركز نشاطه؟ وماهي أبرز الخلافات التي عاشها خلال الثورة؟

أولا- المولد والنشأة :

ولد عبد الحفيظ بوصوف بميلة في 17 أوت 1926⁹⁹ من عائلة فلاحية فهو الابن الثاني لهذه العائلة وأول ناجي لأمه التي فقدت تسعة أولاد قبل ولادته وقد كان فأل حسن على هذه العائلة كونها حصلت من بعده على أربعة أولاد وفتاة وكان أبوه إماما مع ممارسة القضاء في جبهة التحرير الوطني في الولاية الثانية، له أخوان هما رشيد وعبد العزيز اللذان كانا ثوريان فلقد كان رشيد مسبل مبعوث من طرف أخيه بوصوف لتوجيه السلاح نحو المنطقة الثانية أوقف من طرف الجيش الفرنسي سنة 1960.

⁹⁹ الطيب بن نادر، الجزائر حضارة الحضارات المتعاقبة وتاريخ الجزائر وتاريخها المشرف، دار الهدى عين ميلة، الجزائر، ص 258.

أما أخوه عبد العزيز فقد كان ينقل القمح إلى الجبال "ميلة" أوقف مع ثلاثة من المجاهدين وقام الجيش الفرنسي باستجوابه لكنه لم يعترف ثم أطلق سراحه وبعد ذلك اتجه إلى فرنسا أين عمل في مصنع، عملية في الخلية التابعة لجهة التحرير الوطني، شارك في سقوط إدارة المصنع الذي كان يعمل به، ثم فر إلى ألمانيا.¹⁰⁰

عبد الحفيظ بوصوف كان مثل جميع الأطفال الجزائريين درس أولا في المدرسة القرآنية حيث تعلم القرآن الكريم وأكمل حفظه ، ويرجع هذا كله إلى الشيخ "سي السعيد بوصوف"¹⁰¹ وبعدها درس بالمدرسة الفرنسية في سن الثمانية تقريبا حيث زاول دراسته هناك وتحصل على الشهادة الابتدائية¹⁰² كان معروفا بحبه للدراسة وتواضعه فكان الأول في صفه كما قال صديق طفولته محمد المليي ابن الشيخ مبارك المليي "عرف بوصوف في المدرسة الابتدائية وفي هذه المرحلة تفوق علي في ثلاث مرات" فكان مميزا على غرار باقي التلاميذ بوطنيته أي حبه الشديد لوطنه رغم صغر سنه والرغبة الثورية المبكرة، فاستغل أوقات الفراغ لتعليم الآخرين النشيد الوطني.

كان محبا للقراءة حيث تصفح جميع الكتب المتعلقة بالمقاومة الجزائرية مع العلم أن أباه كان يملك مكتبة مليئة بكتب التاريخ وكتب الدين، في سن العاشرة كان متأثرا بملاحم الأمير عبد القادر، المقراني، بوعمامة وفاطمة نسومر، وفي يوم سأله أبوه عن فائدة قراءته للكتب التاريخية فأجابه "إنني أقرأ لأعرف لماذا هذه الثورات لم تلقي نجاحا" إنه طفل في العاشرة من عمره يعتم بمقوماته الشخصية وهذا كان نادرا ما يوجد، لكنه كان مهتما بالوضعية المزرية التي يعيشها الشعب الجزائري، كان فخورا بكونه جزائري وكان يعبر عن هذا أمام أساتذته الفرنسيين اللذين يكرهون اللغة العربية.¹⁰³

وفي عام 1944 سافر إلى قسنطينة ليشغل كعمال تسلم في غسالة التي كانت ملكا لحد المعمرين، كما أكمل دراسته هناك بثانوية رضا حوحو أين تحصل على هادة البكالوريا.¹⁰⁴

وقد كان بوصوف رجلا قويا ذا وجه مستدير، شعر أسود مقصوص وعينين تخفيهما نظارات ملونة، كان بوصوف الذي تابع دراسته في علم النفس قبل 1954 يبدوا كشخص متواضع، يبعث في مرؤوسيه إحساسا بالاحترام والخشية¹⁰⁵ وكان يمثل الكثير من الأشياء فكان يعتمد على إستراتيجية الهدوء وفن المراوغة والإخفاء ودقة الملاحظة ومعرفة الأشخاص على حقيقتهم حيث يعمل على تحليل الأشياء ومعرفة الأشخاص وفائدة السياسة بروية

Cherif abdedaim: le revolution mire aux pas de relours, editions 2 ANEP , rouiba, 2009, p 100
21-24.

¹⁰¹ cherif abdedaime, opcit, p 26.

¹⁰² عاشور شرقي ، قاموس الثورة الجزائرية، 1954-1962 نر: عالم مختار دار القصة بنشر، الجزائر، 2007، ص 91.

¹⁰³ Cherif abdedaime, op, cite., p 26-27.

¹⁰⁴ عاشور شرقي، المرجع السابق، ص 91.

¹⁰⁵ المرجع نفسه، ص 91.

وهدهو¹⁰⁶ ومن الصعب على أين كان أن يعرف نظراته وتصوراته ورد فعله التي يحتفظ بها دائما لنفسه ولا يبوح بها إلا لمن يريد عندما يتكلم طبعاً خاصة وأنه قليل الكلام لا يتحدث إلا بمقدار ولا يضحك ولا يتبسم إلا نادراً وتلك هي طبعته¹⁰⁷، وبعد مسيرته الطويلة في الثورة انسحب العقدي بوصوف من المسرح السياسي في 1962 ليتولى إدارة شؤونه الخاصة، كان يقول انه على استعداد دائم لخدمة الوطن.¹⁰⁸

توفي في 31 ديسمبر 1980 في شقته في باريس بوجود زوجته إثر إصابته بنوبة قلبية مفاجئة وقد كان في فترة 1964 إلى 1980 لا يعطي أي تصريح عن ماذا كان يستعمل أو يجري لقاءات صحفية كما لم يكن يعطي وجهات نظره بطريقة واضحة غير أنه قبل وفاته أجرى مع أحد رفقاءه وهو المناضل محمد فقه البصري لكي يتمنى له أمنيات سعيدة بمناسبة حلول السنة الجديدة وهكذا كانت نهاية حياته.¹⁰⁹

أنشأت الولايات بمناسبة التقسيم الإقليمي الذي قرره مؤتمر الصومام¹¹⁰ في 20 أوت 1956 وكان على رأس كل واحدة منها عقيد يساعده ثلاثة رواد أو أكثر، وتنقسم هذه الولايات إلى مناطق حسب التشكيلة الجغرافية لكل ناحية¹¹¹.

ثانياً- دور عبد الحفيظ بوصوف في الولاية الخامسة

ولاية وهران أو الولاية الخامسة وهي تمتد من البحر المتوسط شمالاً إلى أقصى الجنوب وتمتد من حدود المغرب الأقصى إلى الحدود الإدارية لعمالة الجزائر شرقاً، وهي تمثل ثلث مساحة القطر الجزائري وتشمل ثماني مناطق عسكرية مقسمة بدورها إلى نواحي وأقسام وحددت المسؤوليات تحديداً تاماً، وقد أنشأها المجاهد الشهيد محمد العربي بن مهيدي بمعاونة بوصوف وبعض المجاهدين الآخرين، الذي استشهد بعضهم وسجن بعضهم الآخر.

وكانت الولايات حين ذاك تدعم المناطق ولم يبدأ العمل على منطقة وهران منذ نوفمبر 1954 إذ توصل العدو إلى القضاء على الفرق الصغيرة التي تكونت حين ذاك ومهدت بعد ذلك فترة من الاستعداد السري، وتنظيم الخلايا، وتجنيد الشباب المعروف بصدقه ووطنيته وإخلاصه وماضيه المشرف في الصراع ضد الاستعمار وعمله على نشر الوعي الوطني والثوري في وسط الشعب¹¹²، ووضعت الرتبة العسكرية وأصبح جيش التحرير الوطني جيشاً

¹⁰⁶Cherif abdedaime, op,cite., p 27-28.

¹⁰⁷ يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص 175.

¹⁰⁸ عاشور شرقي، المرجع السابق، ص 92.

¹⁰⁹Cherif abdedaime, op ,cite., p 274.

¹¹⁰ مؤتمر الصومام، انعقد في 20 أوت 1956 وهو أول مؤتمر للثورة الجزائرية واستطاع أن يزود الثورة بمياكل فعالة، ال..... خلف صراع بين قادة الداخل والخارج بسبب قراراته أنظر: النصوص الأساسية للثورة، منشورات ANEP طبع المؤسسة الوطنية، روية، الجزائر، 2008، ص 15-27.

¹¹¹ عبد المجيد بوزيد، الامداد خلال حرب التحرير الوطني، شهادتين طبعة خاصة، ط2، مطبعة الديوان، 2007، ص 295.

¹¹² مصطفى طلاس، الثورة الجزائرية، طلاس للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، 1984، ص 132-133.

عصريا وتجددت معالم ثورتنا كثورة تحريرية شعبية عامة وشاملة، وتطلعت بالشباب المثقف الذين غادروا مقاعد الدراسة والتحقوا بصفوف وقدموا لها خدمات كبيرة في كل ميدان خاصة الإعلام¹¹³، بالتشريعات والاجتماعات واللقاءات والقرى والمداشر، والمشاتي والقصور وتكونت المدارس الشعبية لدعم الثورة إعلاميا واقتصاديا وصحيا واجتماعيا وتقديم الإسعافات اللازمة للمتكونين، وعائلات السجناء والضحايا وأهم شيء في الولاية الخامسة هو تكوين النظام الصحي، ففي 1957 أصبح لديهم عدد كبير من الأطباء والمتربين وطلبة الطب، كما أنشأوا لها مدرسة لتكوين الممرضين وإقامة المستشفيات قارة على باطن الأرض وتعميم وسائل العلاج في كل أنحاء الولاية حتى للمدنيين والنساء والصبيان وصار الأطباء والممرضون ينتقلون للعلاج وجرى الاهتمام بجمع الأدوية واستحلالها من كل مكان خاصة المدن الكبرى .

ومن التطورات الهامة للثورة في الولاية الخامسة إنشاء جهاز للمواصلات اللاسلكية التي قدمت خدمات كبرى لأن اتساع رقعة الولاية كان يفترض علينا تبليغ الأخبار والأوامر والتعليمات بسرعة ومن دون هذا الجهاز لا يمكن تحقيق ذلك، فوضع هذا النظام وحل لنا مشاكل كثيرة، وسهل علينا العمل، وقلل من ضحايا الجنود الذين ينتقلون ومن تعبهم ومشقاتهم عبر مسافات طويلة وفي أوقات متعددة، ومن أهم ما حققوه في الولاية الخامسة عام 1957 امتداد عملنا الوزاري إلى أعماق الصحراء حتى إلى أدرار وتيميمون بحيث انطلق خمسون شابا من الفدائيين وزاد عددهم في الطريق حتى أصبحوا 250 جندي وأظهر عمال المخابرات واللاسلكي بطولة وشجاعة بحيث يبلغوننا يوميا أخبار أنشطتهم وعملياتهم.¹¹⁴

كذلك تمتاز الولاية الخامسة بكثرة أعمال التخريب ضد جيش العدو عن طريق الألغام، بحيث تعرض لخسائر كبيرة وأصبح لا يتحرك إلا بعد أن يجمع المدنيين الجزائريين ويحملهم أمامه بسيارات خاصة ويكون من ضحايا¹¹⁵ تلك الألغام وطلبنا من السكان أن يرفضوا ركوب هذه السيارات مهما كان الضغط وقد قويت عمليات التخريب بالألغام بالمناطق الجنوبية بصورة خاصة فحطم المجاهدون 13 قاطرة حتى مجموع 17 في ظرف 6 أشهر وصار لا يمر يوم دون حصول تخريب قطار ، وحاول جيش الاحتلال أن يقاوم هذا النشاط بوضع الأسلاك الشائكة المكهربة وفي عام 1958 تم تدعيم الثورة وتعمقت وآتت ثمارها بتكوين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية يوم 19 سبتمبر 1958 واختنق الاستعمار الفرنسي ولم يفده مشروع شال العسكري الضخم الذي وضع عام 1959 وصارت المبادرة دائما في أيدي جيش التحرير الوطني عسكريا وجبهة التحرير الوطني سياسيا.¹¹⁶

¹¹³ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 170.

¹¹⁴ - جريدة المجاهد ، العدد 93، 10 أفريل 1961م ، ص 7.

¹¹⁵ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 172.

¹¹⁶ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 172.

ويذكر محمد لمقامي في كتابه رجال الخفاء أن التعداد في ناحية وهران كان معتبرا بقيادة العربي بن مهدي، ومساعدته عبد الحفيظ بوصوف والحاج بن علاوة محمد فرطاس كانت قد قررت تدعيم قطاعات الداخل بالأشخاص والعتاد وبإرسال وحدات كثيرة أطلق عليها اسم الطواير والتوغل نحو الشرق والجنوب الوهراني فناحية وهران بما فيها الجنوب الغربي الصحراوي كانت تتحكم فيها منظمة وجيش التحرير الوطني وتلك الطواير التي توغلت إلى داخل الجزائر قد انطلقت كلها من ناحية تلمسان قد أصبحت في وقت قليل معقل الثورة.

وفي وهران قام عبد الحميد بوصوف ونوابه بحماية الشبيبة ووضع شقتهم بها وبفضل هذه الثقة التي وضعها بوصوف في هذه الشبيبة المتطوعة فإن تنظيم الولاية الخامسة أكثر فعالية كما كان الشبان في ما بعد بالنسبة لمصالح وزارة التسليم والاتصالات العامة حيث يذكر محمد لمقامي إن كل الثانويين والجامعيين الذين التحقوا بنا احمد جلاد طالب¹¹⁷، محمد ديب احمد الغازي، علي زيب وغيرهم من بين الذين هجروا المدرسة الابتدائية كشاوي علي المدعو مراد وعلي ديب وعبد الرحمان ديب و احمد جلاد، لحبيب محبوب.

وكان من أهم مسؤولي المنطقة الخامسة بوصوف بومدين¹¹⁸، لطفي، عثمان، عبان رمضان، سعد دحلب، بن طوبال، أدھليس، سليمان، صالح، زعموم، مقاتلي عبد الرحمان، الشايد حمود جابر.

بعد أرضية الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956 أصبحت ناحية وهران التي كان يشملها التقسيم الإداري الفرنسي أنها أوسع ولاية من بين الولايات التي كان عددها ستة، وكان السي لمبروك بمساعدة ثلاث ضباط برتبة صاغ هواري بومدين، الحنصالي، ميسوم من سرده شعبان (انواتي) أصله من الأنواط.¹¹⁹

وقد كان بومدين المفضل عند بوصوف كونه كان أكثر انضباطا في أعماله وكان يعتبر الرجل الأول بعد بوصوف.¹²⁰

¹¹⁷ محمد لمقامي، رجال الخفاء مذكرات ضابط في وزارة التسليح والاتصالات العامة، منشورات ANEP، 2005، ص 37-38.

¹¹⁸ بومدين : ولد عام 1932 في ولاية قلمة، انضم في 1838 إلى مدرسة الكتانية، انخرط في الجناح السري لحزب الشعب أكمل دراسته في جامع الزيتونة ثم انتقل القاهرة وهناك التحق بالمكتب المغرب العربي اختير فيما بعد لمهمة جلب الأسلحة ثم دخل في اتصالات مع قادة الثورة، ثم أسندت له بعض المسؤوليات فتولى قطاع العلاقات والمعلومات، ثم عين في منطقة وهران كما ساعد بوصوف بعدما تمكن من أن يصبح قائد القوات المسلحة للجيش في 1960، قاد الانقلاب في 19 جوان 1965 وأصبح رئيسا للدولة الجزائرية، توفي في ديسمبر 1979، نظم محمد الصالح شيروف، هواري بومدين رحلة أمل واغتيال حلم، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص 5.

¹¹⁹ محمد لمقامي، المصدر السابق، ص 36.

¹²⁰ Mohamed harbi, gilbert meymier : le FLN documents et histoire, 1954-1962 , casbah, Editions, Algérie, 2004, p 306.

1- بوصف وجهاز المخابرات والاستعلامات

أن في بداية كل حرب وطيلة استعمالها وبعد استتاب الأمن فيها لا يتوقف دور المخابرات ولا يكلّ بل هي الحرب المشتعلة أبداً وان كانت في الظل.

لكن هل كان لثورة التحرير جهاز مخابرات يتحدى العدو؟ وما هي تنظيمه وإمكانياته ودوره الثوري وكيف كان يتصدى لمخططات الأجهزة الفرنسية في الثورة؟

من المعلوم أن لثورة جهاز مخابرات أطلق عليها اسم "المالغ MALG" وقد تأسس خارج الثورة وأن مؤسسه هو عبد الحفيظ بوصوف الذي ظل أهم شخصية مشرفة عليه إلى أن استرجعنا سيادتنا¹²¹، إنّه الرجل الصامت العامل في سرية تامة وبعد نظر، ومن الرجال الأفذاذ الثوريين القلائل وإذا تحدثت متحدث عن السرية والكتمان والاستخبارات فإنه لا يكاد يذكر ذلك إلا ويتبادر إلى ذهنه شخصية بوصوف الاستراتيجية الكبير الذي انتبه مبكراً إلى ضرورة توسيع الثورة لتشمل ميادين أخرى تكمل الجوانب العسكرية والسياسية والدبلوماسية وتجميعها من الاختراقات.¹²²

في الوقت الذي كانت أجهزة المخابرات الفرنسية تعربد به داخل الوطن وتكيد لقادة الثورة وتغثال البعض وتغالط لبعض كما جرى في الولاية الثالثة مع قصة الزرق Les blues وتقتضي آثار المخلصين وتمد القوات المسلحة بدقائق المعلومات التي تحصلت عليها التعذيب وعبر شراء الدم والابتزاز ويذكر لخضر بورقعة نموذجاً عن مخططات جهاز المخابرات الفرنسية أن أحد الصحفيين الفرنسيين انتقل إلى الولاية الرابعة وأدعى أنه من أصل مجري وأنه ظل سنوات عديدة يحاول الوصول إلى قلب الثورة ويجتهد في التعرف إلى المجاهدين لينقل إلى العالم قضيتهم ويحسس الرأي العام الدولي بما يكابده الشعب الجزائري تحت سير الآلة الاستعمارية واستطاع أن يتوغل في صفوف المجاهدين ويكسب ثقتهم حتى أنهم أطلقوا عليه اسم "جلول" غير أنه كان ينقل أخبار المجاهدين إلى فرنسا أولاً بأول ويكشف مخططاتهم مستعملاً جميع الطرق واستغل أول هجوم كاسح للعدو ضد المجاهدين واختفى وظن المجاهدين أنه قتل في المعركة الشرسة لكن بعدما نشر الجنرال "ماسو" مذكراته حملها أجمال الصفحات عن ذلك الصحفي المزعوم.¹²³

¹²¹ لخضر بورقعة، مذكرات الرائد لخضر بورقعة شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، الجزائر، ص 307-308.

¹²² مسعود مزهودي وآخرون، المرجع السابق، ص 77.

¹²³ لخضر بورقعة، المصدر السابق، ص 309-310.

فمنذ 1954 بعد تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي أصبح عبد الحفيظ بوصوف فيها وزير للتسليح والعلاقات العامة MALG وقد منحته هذه الوظائف المسؤولية على كل منظمة الاستعلامات والجوسسة المضادة التي يعتبر مؤسسها والتي اظهر فيها يقضة كبيرة في إحباط مخططات المصالح الفرنسية¹²⁴ وفي تكوين إطارات في هذا المجال حتى لقب بأب المخابرات الجزائرية فقد استطاع جمع 8 مليارات فرنك فرنسي قدم في عهد الثورة الجزائرية بفضل حنكته ودهائه، مقابل تجارته في الاستعلامات الدولية، حيث باع معلومات للولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، الصين، اليابان، وهذه المعلومات كانت تخص شؤوننا دولية لهذه البلدان مصلحة فيها.

وهناك إحدى عملياته البارعة إذ أنه كشف أحد عملاء المخابرات الأمريكية بالجزائر إبان الثورة وبعد استنطاقه تحصل منه على معلومات مهمة تتعلق ببعض الوزراء العرب العملاء لهذه الوكالة، فأخبر حكوماتهم العربية بذلك وتأكدت من صحة هذه المعلومات بعد تحقيقاتها حول الأشخاص المشار إليهم، أما قصة سكرتيرة في الناتو فهي واحدة من العمليات الناجمة لجهاز المخابرات الجزائرية في وقت الثورة تمثلت في تجنيد سكرتيرة فاتنة تعمل لدى جنرال كبير في حلف الناتو للقيام بتجنيدته وقد كان الهدف إيصال أجهزة اتصال حديثة لجهاز الإشارة لجيش التحرير الوطني الجزائري بهدف الاتصال بين الوحدات وقد تمكن رجال عبد الحفيظ بوصوف من الحصول على الأجهزة وفي العديد من المرات التجسس على الاتصالات بين الوحدات الفرنسية واكتشاف الكثير من أسرار الجيش الفرنسي هذه العملية تمت بعد عملية السفينة اليونانية وإعدام اليوناني الخائن.

لقد أسس عبد الحفيظ بوصوف جهاز مخابرات قوي للثورة كما أنه بذكائه الحاد جند بعض الوزراء في الحكومة الفرنسية لصالح ثورة الجزائر من بينهم ميشال دوبري الذي كان رئيس الوزراء في حكومة شارل دغول ووزير الاقتصاد "فوركاد" ووزير الفلاحة "ادغار بيزي" وشخصيات أخرى لها صلة بالحكومة.¹²⁵

وقد فرض بوصوف في جهازه انضباطا صارما على رجاله فنشر الرقابة البوليسية إلى درجة أنه لم يكن بإمكان أي جزائري أن يدخل الولاية الخامسة أو يغادرها بدون أن يخضع للرقابة أو يتعرض للمتابعة واستطاع بوصوف أن يقوّي تنظيمه بواسطة نظام الراديو والتنصت على اتصالات العدو الفرنسي والتجسس على أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ثم على أعضاء الحكومة المؤقتة ولم يكن يثق بأي أحد سواء كان في الناضور في المغرب أو في تونس، كان ينام في أماكن مجهلة حتى أقرب المقربين إليه بالأخص بعد أن تعرض لعدة عمليات اغتيال¹²⁶، هذا إضافة إلى إنشاء نظام السلاح المزدوج وهو سلاح الإشارة والشفرة والاعتماد على شباب يمتاز بالذكاء والفتنة، وأنشأ مدارس للتكوين والتدريب على مختلف التقنيات لمواجهة مختلف أسلحة العدو والإستراتيجية في الدعاية المضادة وأحيانا

¹²⁴ عاشور شرقي، المرجع السابق، ص 91-92.

¹²⁵ Cherif abdedaiem , op, cite., p 206-207.

¹²⁶ حميد عبد القادر، عبان رمضان مرفعة من اجل الحقيقة، منشورات الشهاب، 2003، الجزائر، ص 138-139.

تجاوز جهازه الناشئ العمل الدفاعي إلى العمل الهجومى فاخترت أجهزته ورجاله الأجهزة الأجنبية بجمع المعلومات لصالح الثورة واختراق أجهزة العدو لمعرفة مخططاته مسبقاً.

وليس أدل على ذلك من المعلومات التي سلمها إلى الوفود الجزائرية المفاوضة والتي أظهرت للطرف الفرنسي وبينت أن الجزائريين كانوا على علم حتى بالأسئلة التي سيطرحها الفرنسيون أثناء المناقشات وكانت أجوبتهم جاهزة، وبفضل المبادئ التي كان يؤمن بها هذا الرجل التي علمها إلى تلاميذه، وهو كان قد أخذ بعضها عن غيره ورفاقه من أمثال بن مهدي وعلمها إلى إخوانه ورفاقه من أمثال العقيد هواري بومدين والنقيب قاصدي مرياح وغيرهم وبفضل ذلك استطاع الجزائري أن يبرهن على ذكاء حاد وقدرة عجيبة في نسج شبكة التسليح والتمويل بالمال والمؤن أن يربط بين قواعد الثورة في الداخل والخارج دون أن يتمكن العدو من اكتشاف ذلك.¹²⁷

وقد سخر بوصوف جميع الوسائل لخدمة الثورة مهما كلف ذلك من ثمن فاستعان بمساعديه من الشبان وتلامذة الكوليج والمدرسة وعدد كبير من الطلبة الجامعيين الذين قدموا أحسن ما قدموا وضحو بالنفس والنفيس وساهموا مساهمة مشرفة في سبيل الكفاح المسلح المجيد وكان حظ هؤلاء الشبان من الحياة محفوف بالصعاب والمخاطر وكتمان الاسم والخفاء التام وكان شعارهم كتمان السر والتقسيم والحجز بين المصالح وكان هدفهم الفعالية في العمل والمصلحة العليا للثورة.

وبعد تكوين ملائم في الجوانب التقنية والسياسية والعسكرية فقد عين الكثير منهم في الولايات والمناطق حيث العمليات العسكرية داخل البلاد إما كمرقبين أو محافظين سياسيين أو عاملين في الراديو أو الشفرة أو المصلحين لأجهزة الراديو أو ضباط الأخبار والاتصال واستشهاد الكثير منهم في ميدان الشرف أو سجنوا وقد جعل السي لمبروك (عبد الحفيظ بوصوف) من هؤلاء الشبان قوة ضاربة، وما من أحد يستطيع أن ينكر اسما من هؤلاء الشبان الذين ساهموا في الكفاح المسلح، وقد كان السي لمبروك هو المحرك الأساسي لنظام الاتصالات بمساعدة بومدين وموسى صدار وعبد الكريم حساني وغيرهم¹²⁸.

ولقد تعرض بوصوف لعدة انتقادات حتى من بعض أعضاء الأركان العامة ما يتعلق بالحالة الماسة للسلاح لاسيما الذخيرة والعتاد، ومنذ بداية 1959 أصبح من الصعب جدا عبور السدود الحدودية لمواجهة هذه الوضعية المأسوية قرر بوصوف أن يسخر جميع الوسائل لفائدة القضية مهما كلف الثمن، ويذكر المقامي أيضا أن بومدين كان يتردد دائما إلى تلك المراكز السرية لكن ابتداء من فترة معينة تغير سلوكية ومنذ ذلك العهد نشأ بين وبين بوصوف سوء تفاهم.¹²⁹

¹²⁷ مسعود مزهودي وآخرون، المرجع السابق، ص 77-78.

¹²⁸ محمد لمقامي، المصدر السابق، ص 228-229.

¹²⁹ المرجع نفسه، ص 127.

كما يذكر فتحى الديب عن جهاز بوضوف الذي استولى على الطابق الخامس من العمارة المخصصة للحكومة المؤقتة، وطلب منهم السماح بإحضار جهاز سلكي ولأن جهازه كان في البداية محدود العدد ثم بدأ يتزايد أعداده بشكل ملفت وحينما استفسر من بوضوف عن تزايد هذا العدد بيرر ذلك باتساع دائرة عمله وأنه في أواخر ديسمبر 1958 بدأ يغير سياسته تجاه القاهرة.¹³⁰

أما بورقعة فيقول أن جهاز المالح تأسس لأغراض غير أغراض مقاومة أجهزة العدو تفكيك مخططاته كما أن عملية اختيار الجهاز كانت خاضعة لمقاييس غير مقاييس الكفاءة والإخلاص للمبادئ وقد شهد بومدين معارك جهاز المالح في المتاجرة في السلاح وتكديس المعدات والتجهيزات العسكرية في الحدود الغربية والشرقية، إن الرجل الذي كشف دسائس جهاز المالح هو المرحوم طوالة عبد اللطيف، الذي رأى فصلا بين جنود الثورة وضباطه في الأكل والإقامة، فعمدوا إلى اعتقاله وتأديبه في الوقت الذي كان ضباط الخارج في نعيم البذخ والترف، فتمكنت المخابرات المصرية أن تاخذ من أفواههم معلومات قاتلة وبذلك تمكنت قوات العدو من إبادة أكثر من مئة مجاهد دفعة واحدة، فقد جرى اغتيال خيرة المجاهدين لأنهم رفضوا الانقسام وثورة القصور والمهرجانية السياسية تحت أضواء أجهزة الكاميرا.¹³¹

2- صراعه على السلطة (الباءات الثلاث)

فيما يتعلق بالمراحل الكبرى التي مرت بها السلطة في قيادة الجبهة كان مؤتمر الصومام قد حاول تكريس غلبة السياسي على العسكري إلا أنه لم يفلح في ذلك إذ سرعان ما تمكن العسكريون في أوت 1957 من تدجين السياسيين وبسط هيمنتهم على قيادة الجبهة من خلال ثلاثة أشخاص ركزوا بين أيديهم كل السلطات وصاروا مصدر القرارات المهمة في تسيير الثورة وهم الثلاثة كريم بلقاسم¹³² عبد الحفيظ بوضوف، لخضر بن طوبال.¹³³

وهكذا رضخ السياسيون للأمر الواقع باستثناء واحد منهم هو عبان رمضان الذي أبدى مقاومة شديدة لانفراد العسكر بين بقيادة حرب التحرير¹³⁴ بسبب إقصائه تماما من تسيير الشؤون الهامة لذا قاوم بكل ما أوتي من قوة وما كان يملكه عبان بالدرجة الأولى هو لسانه. حيث اخذ يقول كل شيء لخصومه في السر والعلن وتمادي في هجماته الكلامية على العسكريين مؤكدا أنهم ليسوا بالثوريين، وقد كان العقدهاء مصممين على ترسيخ سلطته وكان عبان حجر عثرة في طريقهم لذا تدهورت العلاقات بينهم وصار عبان يتغيب عن اجتماعات لجنة التنسيق

¹³⁰ فتحى الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة مصر، 1984، ص 322-323.

¹³¹ لخضر بورقعة، المصدر السابق، ص 311-315.

¹³² حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 132.

¹³³ محمد عباس، المرجع السابق، ص 135.

¹³⁴ صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، 2008، ص 435، 436.

والتنفيذ وبعد ذلك وجه إليه العقداء الثلاثة إنذار أخيرا في وجه وساطة أخيرة كلف بها السياسيون الثلاثة في اللجنة عباس دباغين ومهري.¹³⁵

ففي اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ الذي انعقد في تونس شرع عبان خلاله بفتح النار على قائد الولاية الخامسة عبد الحفيظ بوصوف لكن انتقادات عبان لم ترضى كريم بلقاسم.¹³⁶

وطالب عبان بضرورة عقد دورة جديدة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية للتأكيد على المبادئ التي اتفق عليها في مؤتمر الصومام قاموا بعقد الاجتماع في 27 أوت 1957 وقد شن فيه عبان هجوما على العسكريين بدءا بالعقيد أو عمران لكنه وجد نفسه معزولا هذه المرة فحتى كريم بلقاسم تخلى عنه وتحالف معه بن طويال، وبوصوف وهنا تبدأ مناورات كريم بلقاسم لسحب البساط من جماعة عبان حيث اتصل بالعقيد عبد الحفيظ بوصوف واقترح عليه فكرة الالتحاق به وتشكيل قطب جديد من العسكريين مناهض للسياسيين .

وكان بوصوف مثل بن طويال متحفظا من مؤتمر الصومام فهو رجل مخبرات يفضل العمل وفق تصوراته ولا يرضى بأي قرار فوقي يملي عليه أفعاله، اكتشف عبان النظام البوليسي الصارم الذي أوجده بوصوف في سرية تامة لتفادي أعين رجال المخبرات الفرنسية واحترافات المناظرين المصاليين، كما سعى لتجنب ضغوطات القصر الملكي المغربي على جيش التحرير الوطني، كما تلقى عبان بضعة أيام بعد وصوله إلى المغرب تقريرا شاملا من أحد الإطارات عن أوضاع الثورة في الولاية الخامسة ولما علم بوصوف بالأمر وضع كاتب التقرير في السجن، كما أدرك عبان أن مصالح بوصوف كان بحوزتها ملايين الفرنكات بينما كانت الولايات الأخرى فقيرة لدرجة أنها غير قادرة على شراء الأسلحة¹³⁷ وواصل عبان تصديه للعسكريين وفي شهر ديسمبر 1957 كان العقداء قد قرروا نهائيا وضع حد لمعارضة عبان وبقي لهم أن يحددوا كيفية القيام بذلك.

و تم استدراجه إلى المغرب وقيل له أن قوات بوصوف قد جردها الجيش المغربي من سلاحها ولا بد من تسوية القضية مع الملك محمد الخامس، قبل عبان وسافر مع كريم بلقاسم ومحمد الشريف وفي مطار تيطوان كان في انتصاره بوصوف وعنصران من مخبراته اللذان قاما بشنقه في مزرعة وعندما انتشر خبر اغتيال عبان وشرعت الصحافة الفرنسية في استغلاله، رتب العقداء حكاية أن عبان سقط في ساحة القتال، اتفق على أن يبلغ بومدين الخبر إلى كريم بوصوف قائد القوات المسلحة وكلف بومدين بكتابة كلمة التأبين لصحيفة المجاهد.¹³⁸

¹³⁵ صالح بلحاج، أزمنة جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة، 1956-1956 م ، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2006، ص 21-22.

¹³⁶ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 134.

¹³⁷ حميد عبد القادر، المرجع السابق، ص 138-139.

¹³⁸ صالح بلحاج، أزمنة جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة، المرجع السابق، ص 22-23.

وخلال جلسات عديدة لم يحققوا أي تقدم خلال مسألة القيادة الجديدة، الصيغة التي كان الثلاثي قد اتفق عليها مبدئياً وشرع كريم في الدفاع عنها على أمل أن تحقق تمثلت في إلغاء الحكومة المؤقتة والعودة إلى ما يشته لجنة ثورية مصغرة في تلك الأثناء كان كريم قد أدرك أن لطفي وبومدين وكافي المعارضين له المدعومين له من طرف بوصوف وبن طوبال، فقرر أن ينسحب ولجأ إلى التهديد باستخدام القوة وأمرهم أن يلتحقوا بمناضليهم فسارع لخضر بن طوبال إلى منزل كريم لتحذيره من مغبة اللجوء إلى أساليب القوة ولم يبق أمام كريم سوى التنازل والعودة إلى الاجتماع.¹³⁹

وفي الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1959 إلى 18 جانفي 1960 اجتمع أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية الجدد بمدينة طرابلس، فاتخذوا الإجراءات الضرورية لجعل كفاح أبناء الشعب الجزائري أكثر فعالية وتقرر العمل في إطار جماعي وتقليص نفوذ الشخصيات العسكرية القوية داخل الحكومة المؤقتة وتعويضه بلجنة وزارته للحرب وتشكل من عبد الحفيظ بوصوف، لخضر بن طوبال، وكريم بلقاسم وغير أن هذه اللجنة اعتمدت في أعمالها على قيادة الأركان العامة واستطاع عبد الحفيظ بوصوف أن يعين العقيد هواري بومدين رئيساً للأركان العامة¹⁴⁰، الذي كان المفضل عند بوصوف، وكان منضبط في أعماله وبعدها سيصبح الرجل الأول في مكان بوصوف.¹⁴¹

ويذكر سعد دحلب هكذا كنا نعتقد أن جيش التحرير الوطني سيصبح تحت قيادة موحدة في الداخل وفي الخارج، وقد بدأ نفوذ الباءات الثلاث يتقلص في تلك الفترة وأصبح بومدين متمكن من الرجال والأسلحة، الذي شرع مع مجموعة من الضباط تأسيس المكتب السياسي التي استعادها وأقرها بن بلة فيما بعد في طرابلس.¹⁴²

وهكذا بعد بروز قوة هيئة الأركان فضل بوصوف في ظل أزمة صيف 1962 التحلي عن دوره لتلاميذه وانسحب من الحياة السياسية فجأة، وقد انتقلت معه من ملفات وأسرار الثورة التحريرية.¹⁴³

بعد اغتيال عبان زالت العقبة الكبرى أما القادة العسكريين لكن ذلك لم يعن زوال الخلافات ضمن القيادة لاسيما كريم الذي كانت تراوده فكرة مهمة بالنسبة إليه وهي أن يصبح الزعيم الأول للثورة من دون منازع لكن بن طوبال وبوصوف وقف في طريقه ولم يسمح له بتحقيق هدفه، وفي شهر أفريل 1958 قامت لجنة التنسيق والتنفيذ

¹³⁹ صالح بلحاج، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 469-470.

¹⁴⁰ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 493-494.

¹⁴¹ mohamed harbi, gilbert meyrmier, op.cite., p 316.

¹⁴² سعد دحلب، المصدر السابق، ص 113-114.

¹⁴³ مقالتي عبد الله، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، ردمك الجزائر، 2009، ص 113.

بمبادرة بين الأول لإعادة تنظيم الجيش وتمثلت في إنشاء قيادتي العمليات العسكرية الشرقية والغربية والثانية هي إنشاء دوائر ضمن لجنة التنسيق والتنفيذ.

في الفترة نفسها شهدت الساحة الفرنسية أحداث هامة توجت بعودة الجنرال ديغول وهذا ما دفع بهم لإنشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة¹⁴⁴ لتكون الرأس المسير للثورة والناطقة باسمها في جميع المحافل الدولية والمحلية، وفي الاجتماع المعقود بتاريخ 19 سبتمبر 1958 تقرر تشكيل في اقرب مهلة حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية¹⁴⁵ تتكون من رئيس المجلس فرحات عباس نائب الرئيس ووزير القوى المسلحة كريم بلقاسم، نائب الرئيس احمد بن بلة، وزارة الدولة حسين آيت احمد، رابح بيطاط محمد بوضياف، محمد خيضر، وزير التسليح والتموين محمود الشريف، وزير الداخلية لخضر بن طوبال، وزير العلاقات العامة والاتصالات عبد الحفيظ بوصوف، وزير المالية والشؤون الاقتصادية أحمد فرنيسيس، وزير الاستعلام محمد يزيد، وزير الشؤون الاجتماعية بن يوسف بن خدة¹⁴⁶ وكما في السابق فالعقداء الثلاثة ظلوا أولى الأمر والنهي في الهياة الجديدة.

واقترح بوصوف الحفاظ على القيادة الجماعية من دون شك للحيلولة دون رئاسة كريم¹⁴⁷ لها، وبعد أسابيع من ذلك وقعت حادثة عميرة علاوة، حيث عشر عليه ميتا أمام مبنى الحكومة المؤقتة بالقاهرة الرواية الرسمية قالت بالانتحار وأكدت المعلومات الدقيقة أن مدبر الحادث هو بوصوف وتم تنفيذه في الدور الخامس المخصص لجهاز مخبرات بوصوف والذي لا يسمح لأي فرد مهما كانت صفته دخول هذا الطابق من مبنى الحكومة عدا أعضاء جهازه السري.¹⁴⁸

واشتدت الخصومة بين بوصوف أعضاء الحكومة من جهة بوصوف وعباس المتهمان باغتيال علاوة ومن جهة أخرى دباغين وكريم ومعهما هذه المرة السلطات المصرية وانتهاز كريم فرصته وجود عباس في قفص الاتهام للمطالبة بخلافة لكن معارضة بوصوف وبن طوبال لم تمكنه من ذلك فعمل على اقناعهما لإيقاف عمل الحكومة بدعوى أن السياسيين دباغين وعباس هما المسؤولان عن انقساماتها فقرر الثلاثة استلام كامل السلطات رسميا وممارستها فعليا¹⁴⁹ في جويلية 1959 أرغمت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على تسلم السلطات لهم فقد تحصلوا الثلاثة على التفويض من زملائهم لجمع القادة العسكريين،.

¹⁴⁴ الصالح بلحاج، أزومات جبهة التحرير وصرح السلطة، المرجع السابق، ص 25-28.

¹⁴⁵ عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج 2، ط 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص 148.

¹⁴⁶ مصطفى الطلاس، المرجع السابق، ص 326.

¹⁴⁷ الصالح بلحاج، أزومات جبهة التحرير وصرح السلطة، المرجع السابق، ص 32-34.

¹⁴⁸ فتحي الديب، المصدر السابق، ص 426.

¹⁴⁹ الصالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 460.

وهذا من أجل تأسيس حكومة م ج مكلفة بإعطاء ثورتنا إستراتيجية عسكرية وسياسية ودبلوماسية جديدة، لقد التقى الثلاثة مع قائد أركان الحرب الشرق والغرب، كان محمدي السعيد وبومدين و5 عقدا للولايات موجودين في تونس¹⁵⁰ وقد شكلوا بما يسمى بلجنة العقدا العشرة الذين اجتمعوا لمدة مئة يوم¹⁵¹ عازمين على إيجاد وسائل أنجع وأحسن وطرق وأساليب سامية في القتال وقيادة أكثر كفاءة، والكفاح إلى غاية الاستقلال.

خاتمة :

أن البحث في تاريخ ونضال الشخصيات الثورية يبقى من أصعب الأبحاث نظرا لتشابك الأحداث وعدم ترك الكثير منهم لمذكرات تسلط الضوء على كفاحهم خلال الثورة، ورغم ذلك فهناك كتابات ووثائق ولكنها تحتاج إلى دراسة وصبر خاصة مع وجود الشهادات الحية المهمة والصعبة في آن واحد.

من خلال دراستنا هذه تبين لنا العقيد عبد الحفيظ بوصوف حقيقة ينتمي إلى ذلك الجيل القوي والمدافع عن قضيته، و قد أظهر في جميع الجبهات يقظة كبيرة في إحباط مخططات المصالح الفرنسية كما أن تلك الخصال التي ميزته جعلت منه رجلا سياسيا وعسكريا، ويعتبر أحد أفضل قادة جيش التحرير الوطني وهو رائد إستراتيجية الاستعلامات وسلاح الإشارة والشفرة في الثورة هو أبو المخابرات الجزائرية فإذا تحدثت عن السرية والكتمان والاستخبارات فإنه لا يكاد يذكر ذلك إلا و يتبادر إلى ذهنه شخصيته بوصوف الاستراتيجي الكبير.

¹⁵⁰ الحاج لخضر (الولاية 1)، علي كافي (الولاية 2)، بازوزن المدعو سعيد (الولاية 3)، سليمان دحليس المدعى صادق (الولاية 4) لطفي (الولاية 5)، انظر دحلب، ص 104.

¹⁵¹ هناك اختلاف في المدة التي استغرقها الاجتماع، 94 يوم حسب كافي، 99 يوم عند كورير، 100 يوم عند بن خدة، 110 يوم عند حربي وحسب G. Mayner من بداية الاجتماع نهاية لم يفارق الحاضرون أسلحتهم. ولم يفارقهم فراسهم، أنظر الصالح بلحاج، أزمات جبهة التحرير، ص 42.